

الدواوين والكتابة في الإسلام

الديوان : كلمة فارسية معربة كانت تعنى اسم للشياطين ، وسمي الكتاب الفرس بكتاب الدواوين لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي ثم اطلق على الدفتر او السجل الذي تحفظ فيه اسماء الموظفين في الدولة واعطياتهم ثم على الموضوع الذي يجلس فيه الكتاب .

كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) اول من وضع اسس النظام الاداري للدولة العربية الاسلامية باستحداثه الدواوين وكان اول ديوان ظهر في عهده هو ديوان الجند او ديوان العطاء لانه كان يحفظ اسماء المقاتلين وانسابهم ومقدار عطاؤهم وموعد استحقاقهم ، وسبب إنشاؤه هو أن أبا هريرة (رضي الله عنه) قدم بهال من البحرين ، فقال له عمر (رضي الله عنه) : ماذا جئت به ؟ قال : خمسمائة ألف درهم ، فاستكثره عمر وقال : أتدري ما تقول ؟ قال : نعم ، مائة ألف خمس مرات ؛ فصعد عمر (رضي الله عنه) المنبر فقال : " إنه قد جاءكم مال ، فإن شئتم كلكم كيلاً ، وإن شئتم عددنا لكم عدداً " ، وقيل له - إن العجم تدون ديواناً لهم يكتبون فيه الأسماء فأمر باتخاذ الديوان .

يظهر ان السبب الرئيس لاستحداث هذا الديوان هو كثرة الأموال الواردة الى الدولة ورغبة الخليفة بتوزيعها بشكل عادل ، كما ان الخليفة عمر اراد ان يجعل من العرب امة مقاتلة ويوجهها الى الجهاد في سبيل نشر الإسلام وبذلك خصص للمقاتلة رواتب دائمة ليكفيهم مئونة العمل فخصص سجلاً يحفظ اسماء المحاربين واهليهم ورتبها حسب أسبقيتهم في الإسلام والقراية من الرسول (ﷺ) بناءً على قاعدته المعروفة (لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه) .

وفي العصر الاموي ظهرت عدد من الدواوين حسب الحاجة اليها وكالاتي :

١ - ديوان الرسائل او الانشاء : الانشاء : هو مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه واخترعه . وأعظم شاهد لجليل قدرها ، وأقوى دليل على رفعة شأنها ، أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه فقال : (أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ثم بيّن شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلّت قدرته : " وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ " ثم كان نتيجة تفضيلها ، واثرة تعظيمها وتبجيلها ، أن الشارع ندب الي مقصدها السنّي ، وحثّ على مطلبها الأغني ، فقال (ﷺ) " قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ " والكتابة إحدى الصنائع فلا بدّ فيها من : الألفاظ والخط الذي يخطه القلم وآلتها القلم ، وقد أطنب السلف في مدم الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادم حتّى قال سعيد بن العاص : " مَنْ لَمْ يَكْتُبْ فَيَمِينَهُ يَسْرَى " .

الدواوين والكتابة في الإسلام

كان النبي (ﷺ) يكتب أمراءه ، وأصحاب سراياه من الصحابة ويكتبونه، وكتب إلى عدد من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه: فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس، ووحيدة الكلبي إلى هرقل ملك الروم، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر إلى غير ذلك من المكاتبات.

وكان للنبي (ﷺ) أكثر من ثلاثون كاتباً منهم: أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة / وكتب لأبي بكر : وزيد بن ثابت / وكتب لعمر: عبد الله بن خلف / وكتب لعثمان : مروان بن الحكم / وكتب لعلي : عبد الله بن أبي رافع . وفي العصر الأموي تكامل هذا الديوان وأصبح له فنه الخاص في زمن الوليد بن عبد الملك .

صفات الكاتب

ان يكون مسلماً ذكراً حراً مكلفاً عادلاً قوياً العزم فضلاً عن علو الهمة وشرف النفس والعلم بمواد الأحكام الشرعية والفنون الأدبية وينبغي أن يكون الكاتب أديباً، حاد الذهن، قوي النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الأمور على حكم البديهة عظيم النزاهة، كريم الأخلاق .

٣- ديوان الخراج : يعد من أهم الدواوين حيث كانت تجمع فيه الموارد المالية للدولة وخاصة خراج الاراضي الزراعية ، ويتولى تنظيم مقادير الخراج والنظر في مشكلاته .

٣- ديوان الجند : وهو نفسه الذي ظهر في عهد عمر وتطور في العصر الأموي بعد ان اضيف اليه مسألة احصاء الجند وتدوين مقدار اعطياتهم .

٤- ديوان البريد : ظهرت الحاجة اليه منذ عهد عمر ولكن معاوية هو الذي رتبته بان جعل موظفين يعتنون بايصال الرسائل ، ومعنى ذلك أن تقسم الطرق محطات في كل محطة دواب مهيأة معدة لحمل كتب الخليفة إلى البلدان المختلفة، فتسلم الكتب بالحاضرة فيأخذها صاحب البريد (ويرافقه الخرائق: أي الحامل للخرائط) ويمر مسرعاً حتى إذا وصل إلى أول محطة سلمها لصاحب البريد فيها فيفعل بها كالأول والمسافة ما بين السكتين فرسخان بالتقريب . وبذلك كانت تصل الكتب إلى الأمراء والعمال في أسرع وقت يمكن. فضلاً عن تتبعم اخبار الأقاليم والأمصار وهم بمثابة جهاز المخابرات او العيون . وقد اضاف العباسيون

الدواوين والكتابة في الإسلام

لاحقاً استخدام الحمام الزاجل في نقل الاخبار كما حدث في عهد المعتصم عندما وصله نبأ الظفر ببابك الخرمي عبر الحمام الزاجل ، واستخدموا ايضاً سفن البريد في نقل الاخبار في المناطق الواقعة على مجاري الأنهار واستعملوا كذلك النار في الإشارات لنقل الرسائل .

٥- ديوان الخاتم : ويتولاه صاحب الخاتم او الختم الذي يقوم بختم الكتب التي تصدر عن الخليفة وتحفظ نسخة منه في الديوان وترزم وتختم بالشمع الاحمر . ظهر في عهد معاوية وكان سببه أنه أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم، وكتب له بها على زياد، فزور عمرو المائة مائتين ، فلما رفع حساب زياد أنكرها معاوية، وأخذ عمراً بردها، فوفلها عنه أخوه عبد الله. ثم أمر معاوية بختم الكتب وحزمها.

٦- ديوان المستغلات : هو ديوان يتولى الإشراف على ادارة اموال الدولة غير المنقولة كالاراضي والابنية والعمارات . ظهر في عهد الوليد .

٧- ديوان النفقات : تنحصر مسؤوليته في الانفاق على تسليح وتجهيز الجيوش ومصروفات الادارة المركزية في الدولة .

٨- ديوان الصدقات : يتولى صاحبه النظر في موارد الصدقات والزكاة وفي كيفية توزيعها على مستحقيها وفق ماورد في القرآن الكريم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقد ورد اولاً في خلافة هشام بن عبد الملك.

٩- ديوان الطراز : يتولى الاشراف على انتاج الملابس والازياء الرسمية والاعلام وشارات الدولة وهو ما يسمى بمعامل الطراز . وقد ورد ذكره في خلافة هشام بن عبد الملك. وكان الروم يستخدمون الصور في تزيين ملابسهم واعلامهم ، فاستعاض عنها المسلمون بالآيات القرآنية .

تعريب الدواوين

يرجع فضل تعريب الدواوين الى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥ م) بعد أن كانت تكتب بلغات أهلها فالديوان المصري كان يكتب باللغة القبطية ويتولى أعماله جماعة من الأقباط ، وقد عربه (يربوع الفزاري) والشامي كان يكتب باللغة البيزنطية وأموره بأيدي أناس من نصارى الشام وعربه (سليمان بن سعد الخشني)، والعراقي يكتب باللغة الفارسية وامر الحجاج صالح بن عبد الرحمن بتعريبه .. ولا يخفى ما كان لتعريب الدواوين وتسليم مقاليدها إلى المسلمين من أثر عظيم في تثبيت قواعد الدولة

الدواوين والكتابة في الإسلام

الإسلامية ، لأنه جعل اللسان العربي لساناً عاماً في أنحاء الدولة كلها ، وساعد على ذلك أن اللغة العربية لغة القرآن .فضلا عن سهولة الاشراف عليها وضبط اعمالها منعاً من الغش والتزوير واحكام الرقابة المالية على الدواوين وإستكمال السيادة العربية عليها . كما ان الفترة الاسلامية السابقة قد افرزت عددا من الكتاب الذين مهروا بالكتابة والخط والانشاء حتى اصبحوا محل الكتاب المحليين . ومن أعمال عبد الملك المهمة ضرب النقود الذهبية باللغة العربية ، كما أمر بأن تكون الكتابة على الطراز باللغة العربية .

تطور الدواوين في العصر العباسي

لم يحدث تطور كبير في الدواوين سوى زيادة الاشراف عليها من قبل الوزراء كما كانت الدفاتر في الدواوين في عهد الخليفة السفام صحفاً مدرجة، فأول من جعلها دفاتر من جلود موحدة في مصحف واحد خالد بن برمك حفظا عليها من الضياع.

اهم دواوين العصر العباسي :

- ١- ديوان المصادرات : استحدثته المنصور لحفظ اسماء من صودرت اموالهم من بني امية .
- ٢- ديوان الازمة : استحدثته المهدي للاشراف على عمل الدواوين الكبيرة وتدقيق حساباتها كما انشأ ايضاً ديوان زمام الازمة لتدقيق اعمال ديوان الازمة .
- ٣- ديوان النظر في المظالم : استحدثته المهدي ايضاً للنظر في شكوى الرعية ضد كبار رجال الدولة وكان يجلس فيه بنفسه لسماع الشكاوى .
- ٤- ديوان الصوافي : اسسه الرشيد للنظر في امور الاراضي التابعة للخلافة كما احدث ديوان الضياع للنظر في ضياع الخلافة .
- ٥- ديوان الجهبذة : نشأ في عهد المأمون للنظر في تدقيق حسابات بيت المال وموارده
- ٦- ديوان الموالي : استحدثته المتوكل للنظر في شؤون الخدم والموالي بعد كثرتهم خاصة المتصلين بالبلاط والجند الاتراك .
- ٧- ديوان زمام النفقات : للنظر في نفقات الخلافة على الأمور الإدارية .
- ٨- ديوان الاستخراج : ظهر في العصر العباسي الثاني ومهمته النظر في متابعة الوزراء والكتاب والحجاب والولاة واخبارهم او المتهمين بالرشوة لكي يحصي اموالهم التي جمعوها .

